احذروا موتنا في الجنوب

جودت فخرالدين

١ ـ نأتي من الخوف :

حين تدهمنا الطائرات
نحاول ألا نخاف
ونجهد أن لاتفارقنا غبطة الشجر المتأهب للاخضرار
نحاول أن نشبه العشب في الشوق والانحناء
تقولين : « نأتي من القصف
نأتي من الخوف
أو من عواء الصدى »
ثم تستسلمين كمن ينثني لهب جديد
وتبكين خوفا
أتى القصف ،
لا تخرجي اليوم نحو الحقول ، فهذا الصباح شديد
وفي الافق ألمح أشلاءنا تتلهف ملء الفضاء
فلا تذهبي اليوم ،
والتمسي مدخلا للنهار ، هنا ،
قرب هاوية في الظلام القريب
(نحقق وجها لنا بالشظايا ،
ونرسم فوق المدى جسدينا على هيأة التبغ)
ضمي اليك الربى
واحضني الشجرات التي يستبد بها الرعب
وانتظري الحقل :
يأت من الوهج المتلمظ كالانفجار
من نوافذ قد خلفتها قذائفهم في الجدار

٢ ـ حين ينطفىء اللوز

حين ينطفىء اللوز ،
يخفي اشتعالا رقيقا ،
ويعقد آماله، جذوة الالف المتحفز خلف اكتئاب كثيف
يعانق شوق التراب ،
وتنتابه خضرة الاحتمال
هنا في قرانا ،
نكابد أفراحنا (حين يسترجع اللوز أزهاره)
والروابي تخبىء في سرها ، وجعا هو كالانكسار
ولكنه يتفتح مثل شتاء أخير
هنا في قرانا ،
نطارح أحزاننا العشب والاغنيات
ونبدأ من اول الموت، من اول اللوز، من آخر الاغنيات
تقولين : « ماذا تبقى لنا ؟ »
ثم تستسلمين كمن ينثني لهب جديد

ألا تسمعين لهدبك وقعا حنونا ،
اذا ما احتمى في عيونك هذا المدى ؟
انت لا تذكرين الفراشات
الا اذا ارتعشت كالقناديل أشجاننا في المسافات
هلا تنفست حتى يشتتني الحقل ؟
حتى أولي الى جهة فيمهب التوقعاو في مهب الظنون
اذا نهدت زهرة اللوز في صدر ذاك الفضاء
تسرب ملء المتاهات سر غريب
وأدركت الفلوات قصارى التجلي
قريبا من الأرض : يتخذ الحقد شكل السماء
ويتخذ الموت شكل السماء
وتتخذ الامنيات البسيطة شكل السماء
قريبا من الارض : نفتح بابا قريبا الى الموت
نفتح بابا قريبا الى الحقد
نفتح بابا قريبا الى الامنيات

٣ ـ الهجرة

انظروا باتجاه الجنوب
تروا زمنا خارجيا تسلل من دمنا
في الجنوب تقول الحرائق : « أين سيتجه الزمن العربي؟
او الزمن الحجري ؟ »
نواصل هجرتنا كل يوم
وتنتشر الارض حيث نحط
الجهات عدائية ، والدروب عدائية
غير أنا نواصل هجرتنا كل يوم
نعاكس كل الجهات وكل الدروب
واذ نتشرد نحو المدينة ، تنأى بناياتها
تتساءل في سرها :
« من يحاصرني في السكون ؟
من القادمون الى جهة البحر مثل الخراب ؟ »
وينهال منها رصاص غزير
تقول الصبايا اللواتي وصلن :
« تركنا على شرفات القرى ،
عاشقا من شذى الاقحوان ،
تركناه يبكي ، يلم الشظايا ،
ولكنه حين عانقنا للوداع ،
اتفقنا على موعد في المهب الاخير »
وبعض الصبايا بكين
فلاحت بأعينهن المواعيد قاسية :
انهن الجميلات في الحزن والقاسيات
لذلك تخشى المدينة أحلامهن
... وتخشى المدينة عاداتنا القروية
هذا الضجيج لنا ،
والصراخ لاطفالنا ،
فالأزقة ضيقة ،
والمباني سجون ،
أتينا من الفسحات التي لاتحد بغير الفضاء
فلن يسجنوا شمسنا
والقبائل حين أتت لترى موتنا
أدركت انه كان موتا مخيفا
تقول القبائل في سرها :
« من لهم ؟ هؤلاء الخوارج ، لا ينحنون
لا يموتون حين يموتون »
في الجنوب تقول الحرائق :
« أين سيتجه الزمن العربي ؟
أو الزمن الحجري ؟ »
انظروا باتجاه الجنوب
تروا زمنا خارجيا تسلل من دمنا
فاحذروا موتنا في الجنوب
احذروا موتنا في الجنوب .

آذار ١٩٧٨